

## تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ <sup>ط</sup> حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ  
مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ <sup>ج</sup> مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ <sup>ج</sup> ثُمَّ  
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ <sup>ط</sup> وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ <sup>ق</sup> وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

( ولقد صدقكم الله وعده ) أي : أول النهار ( إذ تحسونهم ) أي : تقتلونهم ( بإذنه ) أي

: بتسليطه إياكم عليهم ( حتى إذا فشلتهم ) وقال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشل

الجبن ، ( وتنازعتم في الأمر وعصيتهم ) كما وقع للرماة ( من بعد ما أراكم ما تحبون )

وهو الظفر منهم ( منكم من يريد الدنيا ) وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة )

ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ) ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم

( ولقد عفا عنكم ) أي : غفر لكم ذلك الصنيع ، وذلك - والله أعلم - لكثرة عدد العدو

وعدهم ، وقلة عدد المسلمين وعددهم. قال ابن جريج : قوله : ( ولقد عفا عنكم ) قال

: لم يستأصلكم . وكذا قال محمد بن إسحاق ، رواهما ابن جرير ( والله ذو فضل على

المؤمنين ) . وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ،

عن أبيه ، عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصره يوم  
أحد . قال : فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، إن  
الله يقول في يوم أحد : ( ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ) يقول ابن عباس :  
والحس : القتل ( حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون  
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ) الآية وإنما عنى بهذا الرماة ، وذلك أن  
النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ، ثم قال : " احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا  
نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا . فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم  
وأباحوا عسكر المشركين أكبت الرماة جميعا [ ودخلوا ] في العسكر يذهبون ، ولقد التقت  
صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم هكذا - وشبك بين يديه -  
وانتشبوا ، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع  
على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب بعضهم بعضا والتبسوا ، وقتل من  
المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول النهار ،  
حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل

ولم يبلغوا - حيث يقول الناس - الغار ، إنما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق ، حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين ، نعرفه بتلفته إذا مشى - قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا - قال : فرقي نحونا وهو يقول : " اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله " . ويقول مرة أخرى : " اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا " . حتى انتهى إلينا ، فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اعل هبل ، مرتين - يعني آلهته - أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، ألا أجيبه ؟ قال : " بلى " قال : فلما قال : اعل هبل . قال عمر : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : قد أنعمت عينها فعاد عنها أو : فعال ! فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ، وهذا أبو بكر ، وها أنا ذا عمر . قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول ، وإن الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال إنكم تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذا وخسرنا ، ثم قال أبو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثله ولم يكن ذلك على رأي

سراتنا . قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه . هذا حديث غريب ، وسياق عجيب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، فإنه لم يشهد أحدا ولا أبوه . وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النضر الفقيه ، عن عثمان بن سعيد ، عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، به . وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة ، من حديث سليمان بن داود الهاشمي ، به ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي ، عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أحد ، خلف المسلمين ، يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر : أنه ليس أحد منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله عز وجل : ( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ) فلما خالف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به ، أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة : سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، وهو عاشرهم ، فلما رهقوه [ قال : " رحم الله رجلا ردهم عنا " . قال : فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما رهقوه ] أيضا قال : " رحم الله رجلا ردهم عنا " . فلم يزل يقول

ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه : " ما أنصفنا أصحابنا " . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قولوا : الله أعلى وأجل " . فقالوا : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : " الله مولانا ، والكافرون لا مولى لهم " . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر . حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا سواء . أما قتلنا فأحياء يرزقون ، وقتلناكم في النار يعذبون " . قال أبو سفيان : قد كان في القوم مثله ، وإن كانت لعن غير ملاء منا ، ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرنى . قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكلت شيئاً ؟ " قالوا : لا . قال : " ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار " . قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى عليه ، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه ، فرفع الأنصاري وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى [ عليه ] ثم

رفع وترك حمزة ، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة .تفرد به أحمد أيضا .وقال البخاري

: حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق : عن البراء قال : لقينا

المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة ، وأمر عليهم عبد

الله - يعني ابن جبير - وقال : " لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن

رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا " . فلما لقيناهم هربوا ، حتى رأينا النساء يشتددن في

الجبيل ، رفعن عن سوقهن ، وقد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال

عبد الله : عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم ألا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم

، فأصيب سبعون قتيلًا فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : " لا تجيبوه " .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : " لا تجيبوه " . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟

فقال : إن هؤلاء قد قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت

يا عدو الله ، قد أبقى الله لك ما يحزنك فقال أبو سفيان : اعل هبل . فقال النبي صلى

الله عليه وسلم : " أجيئوه " . قالوا : ما نقول ؟ قال : " قولوا : الله أعلى وأجل " . فقال

أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أجيئوه " . قالوا :

ما نقول ؟ قال : " قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم " . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ،  
والحرب سجال ، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني . تفرد به البخاري من هذا الوجه ،  
ثم رواه عن عمرو بن خالد ، عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه  
وسياتي بأبسط من هذا . وقال البخاري أيضا : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ،  
عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : لما كان يوم أحد  
هزم المشركون ، فصرخ إبليس : أي عباد الله ، أخراكم . فرجعت أولادهم فاجتلدت هي  
وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أي عباد الله ، أي أبي . قال : قالت  
: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت  
في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل . وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن  
عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده أن الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيتني  
أنظر إلى خدم [ هند ] وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل  
ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب وخلصوا ظهورنا للخيل  
فأتسنا من أدبارنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل . فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد

أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .قال محمد بن إسحاق : فلم يزل لواء المشركين صريعا ، حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فدفعته لقريش فلاثوا به ، وقال السدي عن عبد خير قال : قال عبد الله بن مسعود قال : ما كنت أرى أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت فينا ما نزل يوم أحد ( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة )وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود ، وكذا روي عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ، رواهن ابن مردويه في تفسيره .وقوله : ( ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ) قال ابن إسحاق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أحد بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، قد ألقوا بأيديهم فقال : ما يخليكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .وقال البخاري : حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا حميد ، عن أنس بن مالك : أن عمه - يعني أنس بن النضر - غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال رسول الله صلى



اللّٰه عليه وسلم ، لئن أشهدني اللّٰه مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ليرين اللّٰه ما أجد

فلقي يوم أحد ، فهزم الناس ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني

المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال :

أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد . فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته

بينانه بشامة وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم . هذا لفظ البخاري وأخرجه

مسلم من حديث ثابت عن أنس ، بنحوه . وقال البخاري [ أيضا ] حدثنا عبدان ، أخبرنا

أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قوما جلوسا ، فقال :

من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال :

إني سائلك عن شيء فحدثني . قال : أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر

يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا ؟ قال : نعم . قال : فتعلم

أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا ؟ قال : نعم . قال : فكبر ، فقال ابن عمر : تعال

لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه . أما فراره يوم أحد فأشهد أن اللّٰه عفا عنه ، وأما

تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه " . وأما  
تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان  
، فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده  
اليمنى : " هذه يد عثمان " . فضرب بها على يده ، فقال : " هذه يد عثمان اذهب بها الآن  
معك " . ثم رواه البخاري من وجه آخر عن أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب .